



# النسبية ونسف النص الشرعي

الكاتبة: عفاف بنت عبد الله العتيبي

بسم الله الرحمن الرحيم الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء والمرسلين، وبعد:




فإن الله جل وعلا قد خلق الإنسان لغايات معينة إذا حققها فإنه يبلغ ما وعده الله سبحانه به، فقد خُلق الإنسان لتوحيد الله جل وعلا قال تعالى: "وما خلقت الجن والأنس إلا ليعبدون"[١] وقد جعل الله للإنسان إطاراً من منظومة الأخلاق والمثل العليا يتحرك فيها بطرق شرعية متوازنة تحقق له العيش الرغيد والتوازن النفسي الكامل متى ما قام بما افترضه الله عليه. ومتى ما خرج خارج إطار الدين حصل له من الضنك والألم بقدر خروجه قال تعالى: "ومن أعرض عن ذكري فإن له معيشة ضنكاً ونحشره يوم القيامة أعمى"[٢] وعلى ذلك فإنا نجد أن الناس مهما اختلفت

[١] الذاريات ٥٦

[٢] طه ١٢٤

مشـــاربهم وثقـافتهم يتفقون على الحـاجـة لمـا يقودهم على الطريق الصــحيح، وإن مما ينبغي التنبه له والاهتمام به مع ما يموج به العصــر من شــبه فكرية أن يكون القائد للمســلم النص الشــرعي الصــحيح على فهم الســلف الصــالح فإذا وجدت هذه القناعة الراســخة لدى الإنســان فإنه لن يتحول عنها بحول الله، ولقد انتشــرت مؤخراً قضـية النســبية في الحقائق والقيم، وتعني أنـه لا يوجـد حقيقـة مطلقـة فـالأمر يحتمـل أن يكون حقـاً ويحتمل أن يكون باطلاً في نفس الوقت والقيمة تحتمل التغيير والتبديل حسب المجتمع وحسب تطورات العصر.

وممن اهتم بهذا الموضـــوع واســـتخدمه لخدمة أغراضـــه وترويج معتقده أصــحاب حركة العصــر الجديد(٣) والذين يرون أن معيار الحقيقة أو القيمة هو الإنسان نفسه وهذا متعذر لعدة أسباب:

١. أن الحق سيكون متعدداً وهذا مستحيل شرعاً وعقلاً، أما شرعاً لقوله تعالى: "وأن هذا صـــراطي مســـتقيما فاتبعوه ولا تتبعوا الســـبل فتفرق بكم عن ســبيله ذلكم وصــاكم به لعلكم تتقون"(٤) وأما عقلاً فإنه معلوم بالضــرورة أنه لا يمكن أن يكون الشـــيء حقٌ وباطلٌ في وقـت واحـد إذ هـذا من التنـاقض، ومعلوم أن اجتمـاع النقيضـــين مرفوض في بدهيات العقول.

---

٣ يُراجع كتاب حركة العصر الجديد د. هيفاء الرشيد ص ٣١

٤ الأنعام ١٥٣

٢. أنه لا فائدة من ارسال الرسل إذ سيكون من العبث -جل الله عن ذلك- أن يبُعث رسـول بأمر ويدعو جميع الناس إليه والحقيقة غير ذلك إذ كل فرد منهم لديه الحق الخاص به.

٣. أنه لن توجد منظومة مجتمعية تحكم حياة الناس وتبين لهم الصـــواب من الخطأ، مما يسهل نشر الفوضى بين الناس.

٤. أنـه لا يوجـد حقوق للفرد وواجبات عليه بـل ما ســـيحقق مصــــلحتـه فسيفعله ولو أضر بالمجتمع.

٥. والأهم من ذلك كله أنه سينسف الشرع ويصبح ليس للنص الشرعي معنى يؤخذ به ويتحاكم إليه.

والـذي ينبغي أن يســـتقر في الأذهـان أن المعيـار الحقيقي للقيم والأخلاق هو الإســـلام إذ هـو المنظـومـة الوحيـدة التي لا يمكن أن يتطرق إليها النقد أو النقض لأنه جاء من لدن حكيم خبير.

*هذا المقال يعبر عن وجهة نظر الكاتب ولا يمثل - بالضرورة - رأي الناشر